

المحاضرة الخامسة

عبد الله ابو جعفر المنصور

(136_ 158 هـ / 754_ 775 م)

التعريف بأبي جعفر

هو عبد الله بن محمد بن علي العباسي ابو جعفر المنصور . ولد في الحميمة في عام 95 هـ و امه ام ولد تدعى سلامة . ترعرع في وسط المجتمع الهاشمي . وطلب العلم وهو شاب من مظانه و تفقه في الدين ونال قسطا من علم الحديث فنشأ ادبيا فصيحاً ملماً بسير الملوك .

انتقل ابو جعفر مع اهله واخيه من الحميمة الى الكوفة . ولما افضت الخلافة الى اخيه ابي العباس كان ساعده الاشد في تدبير امور الخلافة . فولاه الجزيرة و ارمينيا و اذربيجان ووجهه الى خراسان لأخذ البيعة له كما عهد اليه من بعده .

توفي السفاح و ابو جعفر في الحجاز اميرا على الحج فأخذ له البيعة ابن اخيه عيسى بن موسى في الانبار وكتب اليه بذلك .

اتصف المنصور بالشدّة والبأس واليقظة والحزم وعرف بالثبات عند الشدائد ولاشك ان هذه الصفة كانت من بين ابرز الصفات التي كفلت له النجاح .

الايضاح الداخلية في عهد المنصور

_ عصيان عبد الله بن علي

تولى ابو جعفر المنصور الخلافة ولم تكن قد توطدت دعائمها بعد . وقد خشى من منافسة عمه عبد الله بن علي الذي كان يطلب الخلافة ، كما انتابه الخوف من تعاضم نفوذ ابي مسلم الخراساني ، ومن خروج بني عمه آل علي بن ابي طال (عليهم السلام) على حكمه .

فكيف واجه المنصور هذه المشاكل الثلاث ؟

الواقع ان الخليفة كان يجمع الجرأة ويعد الهمة والمكر والدهاء . فعزم على ضرب اعدائه بعضهم ببعض حتى تخلو له الساحة السياسية .

كان لعبد الله بن علي رؤية خاصة من مشكلة الحكم فهو بالاضافة الى طمعه بالخلافة فانه انزعج من ابني اخيه ابي العباس و ابي جعفر بفعل ميلهم الشديد للفرس .

وكان ابو جعفر على حق حين خشي من طموحات عمه الذي خرج غازيا البيزنطيين في عهد ابي العباس على رأس جيش ضم عدد كبير من العرب . ولما وصل الى دلوک بنواحي حلب علم بوفاة السفاح وبيعة المنصور فتوقف عن الزحف و رحل الى حران حيث اجتمع باركان حربه وتقرر بالنتيجة ترشيح نفسه للخلافة . فبايعه الجند ومن ثم راح يزحف متجها نحو الجزيرة .

وهكذا استخدم عبد الله هذا الجيش الذي اعد اساسا لغزو البيزنطيين لتحقيق اطماعه في الخلافة مدعيا ان ابا العباس اقامه وليا لعهد حينما ارسله لقتال مروان الثاني .

تصرف المنصور تجاه هذا الخطر تصرفا حكيما دل على انه لا يحكم العواطف في القضايا الاساسية فندب ابا مسلم لقتاله رغم حقه عليه مظهرا بذلك براعة سياسية لضرب اعدائه بعضهم ببعض بالاضافة الى انه كان يأمل باستقطاب الخراسانيين في جيش عمه عن طريق حاكم خراسان الذي أبدى استعدادا للتصدي لحركة التمرد .

وتمكن ابو مسلم بدهائه السياسي والعسكري من تغلب على عبد الله في معركة جرت بينهما قرب نصيبين في منطقة الجزيرة . وفر عبد الله بعد هزيمته الى البصرة ملتجئا الى اخيه سليمان بن علي وظل متواريا عنده الى ان علم المنصور بذلك فأرسل يطلبه و أعطاه من الامان ما وثق به ولما جاءه قبض عليه و سجنه وذلك في عام (139 هـ / 757 م) وظل مسجوناً حتى عام (147 هـ / 761 م) حين قتله المنصور .

_ نهاية ابي مسلم الخراساني

ساهم الفرس الخراسانيون بدور بارز في قيام دولة الخلافة العباسية وعلى رأسهم ابي مسلم الخراساني أملين تحقيق تطلعاتهم التي يمكن تلخيصها بما يلي :

أ - إيلاء السلطة الجديدة نظرة عطف لقضاياهم بعد الظلم الذي تعرضوا له ابان الحكم الاموي .

ب - الرغبة في التخلص من الحكم الانف الذكر الذي اعطى العنصر العربي ميزة على ما عداه تجلت في ميادين الحياة كافة .

ج - اعادة مجدهم الغابر و احياء سلطانهم الفارسي المنذر (كسرى انوشروان) .

وحدد العباسيون سياستهم تجاه هذه العناصر الاجنبية المتقدمة في المجالين السياسي والعسكري من منطلقين :

الاول : المشاركة والموازنة في اطار الطاعة لبني العباس .

الثاني : القمع اذا حصل خروج على هذا الولاة .

وتعطينا هذه السياسة دوافع لاحداث كبيرة حفل بها العصر العباسي الاول .

وحينما اشتد ساعد دولة الخلافة العباسية و توضحت سياستها لاحظ هؤلاء ان الدولة الجديدة لم تحقق تطلعاتهم بالشكل الذي يريدونه و رأوا في احجام العباسيون عن تنفيذ الوعود التي بذلوا خلالها فترة التحضير للثورة تراجعاً لا يمكن الاطمئنان اليه .

لذلك تغير موقفهم من النظام الجديد وقاموا بحركات تمردية بهدف الاطاحة بالدولة . وكانت حركة ابي مسلم الخراساني فاتحة هذه الحركات المعادية فهي صورة صادقة من المواجهة بين القوى الخراسانية المعتدة بقوتها و المتطلعة الى النفوذ والسلطان وبين المركزية في سلطان الخلافة .

وفي تحديد ماهية حركة ابي مسلم يتبين ان هذا الرجل كان يشعر انه المؤسس الحقيقي لدولة الخلافة العباسية . واخذته العزة حين رأى التفاف الفرس حوله يتأمررون بأمره ويرون فيه زعيما قوميا . وراودته احلام طموحات شخصية من تفرد بحكم خراسان وما جاورها و نزعات استقلالية او تحقيق اللامركزية في الممارسة السياسية والادارية . وتدل تصرفاته بعد نجاح الثورة العباسية وعلاقته بالخلافة منذ عهد الخليفة الاول دلالة واضحة على هذا الاتجاه .

فقد ثقلت وطأته على ابي العباس وكثر خلفه له ورده لأمره . وكان ابو جعفر شديد الحساسية تجاه طموحاته فحث اخاه على قتله لكن السفاح لم يبد ميلا جديا لذلك بفعل بلانه في خدمة الدعوة العباسية بالاضافة الى كثرة اتباعه الذين يؤثرونه على دينهم ودينياهم وقد يصبحون مصدر قلق للدولة .

اما علاقة ابي مسلم بأبي جعفر فقد كانت سيئة جدا فقد حدثت احداث ادت الى تباعد الرجلين منها :

_ اراد ابو مسلم ان يحج في عام 136 هـ وكان يطمع بامارة الحج الا ان الخليفة ابا العباس السفاح ولاها ابا جعفر مما دفع ابا مسلم الى الغضب .

_ يبدو ان ابا مسلم كان حريصا على ان يشعر ابا جعفر بقيمته فأخذ يحط من هيئته بانفاقه الاموال الكثيرة في اصلاح الطرق وفي الترفيه عن الاعراب وبتقدمه عليه في الطريق .

_ ولما مات السفاح وتولى ابو جعفر الخلافة تباطأ في بيعته . وكانا عاندين من الحج فكتب اليه يعزيه بوفاة اخيه دون ان يهنئه بالخلافة او يبعث اليه بالبيعة او يترث في طريقه حتى يلحق به متجنبا لقاءه مما ادخل الروع والقلق في نفسه .

ولما تولى المنصور الخلافة قرر التخلص منه فنهج معه اسلوبا سياسيا قائما على الاسس التالية :

1_ ابعاده عن منطقة نفوذه في خراسان حتى لا يؤلب عليه اهله ويستقل بحكمها .

2_ ان يلقاه وحيدا مجردا من النفوذ والسلطان .

3_ تلطيف الاجواء بينهما حتى يزيل الريبة من قلبه .

4_ جعله قريبا من مركز الخلافة حتى تسهل مراقبته .

وانفجرت الازمة بين الرجلين بعد انتصار ابي مسلم على عبد الله بن علي فقد حاز على امواله وخزائنه فأراد المنصور ان يشعره بانة احد عماله فأرسل اليه رسولا ليحصي الغنائم مما ازعجه و اغضبه وقال معلقا على ذلك : (أمين على الدماء خائن في الاموال) . ثم بعث اليه المنصور ان احتفظ بما في يدك . فصعب ذلك على ابي مسلم ومال الى خلع .

وازداد استعلاء ابي مسلم بعد ذلك لدرجة انه كان يأتيه كتاب من الخليفة فيقرأه ثم يلوي شذقه على سبيل السخرية منه .

وكتب المنصور اليه يهنئه بالنصر ويبلغه بتوليته الشام ومصر لكن ابا مسلم كان من الدهاء بحيث لم يخدع بمثل هذه المناورة التي تهدف الى فصله عن جنوده من اهل خراسان وفطن لغرض المنصور وعلق عليه بغضب قائلا : (هو يولياني الشام ومصر ، وخراسان لي) وقرر العودة الى خراسان مخالفا بذلك اوامر الخليفة . وقد خشي هذا الاخير من عودته بفعل انه سيعتصم بشيئته ، ويصبح قادرا على تحدي السلطة المركزية فيصعب عند ذلك اخضاعه او التغلب عليه .

نتيجة لهذا التطور في الموقف لجأ المنصور الى اسلوب الدهاء للايقاع بعوده فتوجه الى المدائن وكتب اليه يدعوه لزيارته وهو في طريقه الى خراسان لامر مهم . لكن ابا مسلم ادرك مرامي الخليفة ، ورد عليه برسالة عبر فيها عما يجيش في صدره من حذر وحقد .

لم ييأس ابو جعفر من الايقاع بخصمه . ولجأ هذه المرة الى اسلوب الترغيب والتهديد . ونجح رسوله اليه وهو ابو حميد المروزي في التأثير عليه وانتزع موافقته بالرغم من معارضة اركان حزبه .

وهكذا تحقق مثل ابو مسلم امام المنصور بعد عدة محاولات مزج فيها الخليفة السياسة بالتهديد .

و دارت بين الرجلين محاوراة طريفة كانت اقرب الى المحاكمة ، وهي تكشف عن اعتداد ابي مسلم بنفسه وبالجهود التي بذلها في خدمة بني العباس وتنم عن دهاء المنصور وخوفه من قيام الخراسانية الفارسية بالانفصال عن السلطة المركزية ، ذلك ان هذا الرجل بدأ يشكل خطرا يهدد امن الدولة و وحدتها ، كما تدل المحاوراة على عداوة قديمة بينهما الا انها تتضمن في الوقت نفسه اتهامات خطيرة لابي مسلم بمحاولة الوصول الى الخلافة عن طريق :

_ تجاوز العلاقات الاجتماعية حين خطب لنفسه آمنة بنت علي عمه الخليفة .

_ وضع نفسه في المكانة الاولى في الدولة حين كتب الى ابي جعفر بادئا بنفسه .

_ ادعاء النسب العباسي حين زعم انه ابن سليل بن عبد الله بن عباس ، اي انه جعل لنفسه مكانة مساوية لمكانة والد المنصور محمد بن علي بن عبد الله بن عباس .

اما التهم الاخرى التي وجهت اليه هي :

_ قتله لسليمان بن كثير نقيب النقباء في خراسان .

_ قتله لعدد من رؤساء القبائل اليمينية امثال علي بن جديع الكرمانى واخيه عثمان .

_ قراره بالسير الى خراسان دون استئذان الخليفة او اخذ موافقته .

وبعد ان انتهى المنصور من مواجهة خصمه بالتهم المنسوبة اليه لم يكن لابي مسلم جواب الا ان يذكر الخليفة بخدماته في سبيل الدعوة العباسية . وقبل ان تضربه السيف استنجد بالخليفة واخذ يعتذر امامه عما بدر منه ، لكن محاولته هذه لم تغنه عن القتل في اليوم الخامس والعشرين من (شهر شعبان عام 137هـ / شهر شباط عام 755م).

وهكذا تخلص المنصور من هذا المنافس الخطر الذي طالما اقض مضجعه مدفوعا بعوامل سياسية و شخصية . وحينما ابدى ابن اخيه عيسى بن موسى احتجاجا على طريقة القتل قال له المنصور : (والله ليس لك على وجه الارض عدو اعدى منه وهل كان لكم ملك في حياته ؟) وعندما علم جعفر بن حنظلة بقتل ابي مسلم قال للخليفة : (يا امير المؤمنين عد من هذا اليوم خلافتك) . وان دل ذلك على شيء فانه يدل على عظمة شأن ابي مسلم وقوة سلطانه .

ذبول مقتل ابي مسلم

_ حركة سنباذ

نجح ابو جعفر المنصور في القضاء على ابي مسلم الا ان ذكراه بقيت بين الفرس في خراسان والترك في بلاد ما وراء النهر . وظهرت في خراسان بعد مقتله حركات سياسية و قومية واتخذوا من ابي مسلم رمزا و وسيلة للتعبير عن معارضتهم للسلطة العباسية والتنقيص عما في نفوسهم ثم منقذا منتظرا لتحقيق امالهم و اهدافهم التي لم يحققها العباسيون الذين صنعوا دولتهم على اكتاف الخراسانيين والذين لم يستفيدوا من الدولة الجديدة فبات عندهم احباط ادى بهم الى الخروج في ثورات عديدة ستستمر لعشرات من السنين .

شكلت حركة سنباذ اول رد فعل لمقتل الزعيم الفارسي وقد خرج غضبا لقتله وطلبا للاخذ بثأره . التف حوله الاتباع وغلب على نيسابور وقومس والري وتسمى باسم (فيروز اصبهذ) واستولى على خزائن ابي مسلم .

وعندما تفاقم امر سنباذ ارسل اليه ابو جعفر جيشا بقيادة جهور بن مرار العجلي اصطدم به بين همذان والري وقضى عليه . وهكذا انتهت هذه الحركة في عام (137 هـ / 755 م) بعد سبعين يوما من قيامها .

حركات اخرى

لم يختف انصار ابي مسلم تماما بعد القضاء على حركة سنباذ . والحقيقة ان الخليفة العباسي وان نجح في القضاء على هذه الحركة الا انه لم يتمكن من القضاء على الافكار التي دفعت سنباذ الى الانتفاضة .

لذلك شهدت بلاد فارس وما وراء النهر قيام عدة حركات مناهضة للحكم العباسي اقتترنت بابي مسلم على نحو او اخر والتزمت بالاهداف نفسها من حيث المطالبة بحقوقها والتي لم تحصل عليها في الدولة الجديدة . وكانت السمة البارزة والمميزة لانصارها عند خروجهم ارتداء البياض وحمل الاعلام البيضاء لذلك اطلق على هذه الجماعات اسم (المبيضة) .

ومن هذه الحركات :

1_ الحركة الراوندية التي قامت عام (141 هـ / 758 م) .

2_ حركة استاذنيس التي انطلقت من خراسان في عام (150 هـ / 767 م) .

وقد جهد المنصور في القضاء عليها فحاربها دون هوادة ونجح في ذلك .

العلاقة مع العلويين

خروج محمد النفس الزكية :

لم ينس العلويين حقهم في الخلافة منذ مقتل الامام الحسين (عليه السلام) في كربلاء . فانهم ما برحوا في كل ادوار حياتهم يتذرعون الى نيل حقهم بكل وسيلة فان وجدوا الفرصة سانحة اغتتموها واذا انسوا من انفسهم ضعفا ركنوا الى الهدوء . ولما قامت الدعوة العباسية انخرط بعض الشيعة فيها ظنا منهم بانها علوية في حين وقف بعضهم الاخر على الحياذ تاركين الامور تجري في مجراها الطبيعي على الرغم من تأييدهم لفكرة الثورة على الامويين .

ويبدو ان العلاقة بين العباسيين والعلويين اثناء فترة الدعوة العباسية كانت حسنة وعندما انتهت الثورة بانتقال الخلافة الى ال عباس اعتبر العلويون خاصة الفرع الحسنى ان العباسيون خدعهم و استأثروا بالخلافة مع انهم احق بها . ولم يكن من اليسير ان يتحملوا كل ما تحملوه من مضايقات الامويين لتقوم بعد ذلك دعوة باسمهم تنتزع حقهم لذلك ناصبوه العدا .

وحاول العباسيون من جانبهم في مستهل حياتهم السياسية ان يتعاونوا مع العلويين لاعطاء دولتهم الناشئة الفرصة لتثبيت اقدامها ثم بدأ الفريقان بالتباعد شيئا فشيئا حين اعلن السفاح في خطبة له في الكوفة ان الخلافة عباسية وستبقى عباسية وانه ليس لاحد حق فيها قاصدا بذلك العلويين . الا ان العلاقة بين الطرفين اتسمت بالهدوء والمسالمة ثم تبدلت بعد ذلك في عهد المنصور فمالت نحو التآزم ثم الاصطدام . ذلك ان هذا الخليفة وقد شعر ان المعارضة العلوية اضحت خصما عنيدا راح يهدد كل من يخرج على الدولة .

والواقع ان اول الخارجين من العلويين على حكم العباسيين كان محمد بن عبد الله بن الحسن المعروف بالنفس الزكية واخوه ابراهيم وما من الفرع الحسنى في حين ركن الامام جعفر الصادق (عليه السلام) وهو من الفرع الحسينى الى المهادنة واستطاع ان يقنع اتباعه بان الظروف غير مناسبة لاقامة الخلافة العلوية .

ويبدو ان محمدا هذا كان يدعو الى نفسه ويتطلع الى الخلافة قبل وصول العباسيين الى الحكم واضحى له شيعة يدعون له في الحجاز والعراق و خراسان وراح يتهيا لليوم الموعود . الا انه اخطأ في تقديرته حين ظن ان الدعوة التي انتشرت في خراسان والتي رفعت شعار الرضا من آل البيت (عليهم السلام) ليست الا دعوة للعلويين وهو مرشح للخلافة .

ولما تسلم العباسيون السلطة لم يرض عن ذلك وامتنع عن مبايعة الخليفة السفاح وحاول الخروج على حكمه فمنعه والده لما للخليفة عليه من فضائل .

ولما تولى ابو جعفر المنصور الخلافة امتنع الاخوان محمد و ابراهيم عن مبايعته واقاما في الحجاز في مكان سري مما ازعجه واقض مضجعه . لذلك جد في البحث عنهما حتى اكتشف مكانهما . ومحمد المعروف بالنفس الزكية كان قد اختير كخليفة للمسلمين بعد اجتماع الابواء وبحضور العلويين والعباسيين ومن بين الذين بايعوه في ذلك الاجتماع هو ابو جعفر المنصور واخوته لكن الامور سارت بعد ذلك في مسارات مختلفة كانت من نتائجها استئثار العباسيين بالخلافة دون ابناء عمهم العلويين .

واعتقد محمد النفس الزكية ان ظروف خروجه باتت مؤاتية بفعل عدة عوامل لعل اهمها :

1_ تضيق العباسيين عليه .

2_ قيام المنصور بصب جام عذابه على اسرته بهدف الضغط عليهم لتسليمه مع اخيه .

3_ كما وصلته رسائل تأييد من امراء الاقاليم وكبار قادة المنصور يحثونه على الخروج .

4_ اعتراف كثير من الناس بإمامته خاصة اهل الحجاز .

5_ الحاح اصحابه عليه بالخروج بعدما سئمو الانتظار .

6_ تأييد والده له بالخروج .

7_ افتاء الامام مالك بجواز بيعته ونقض بيعة المنصور .

8_ اعتقاده انه اضحى اقوى من المنصور .

لذلك اعلن دعوته وظهر في المدينة في مستهل (شهر رجب عام 145 هـ / شهر اب عام 762 م) وتلقب بأمر المؤمنين في حين ذهب اخوه ابراهيم الى البصرة ليرفع لواء الانتفاضة فيها وبدأ انصار العلويين يرتدون البياض .

وظهر ما كان خافيا على المنصور فعرف ان المدينة هي قاعدة محمد النفس الزكية ومنطلقه فركز اهتمامه على الحجاز لمنع انتشار دعوته ثم لجأ الى المناورة السياسية فدعاه الى حل الخلافات بينهما سلميا و دخل من اجل ذلك في سلسلة من المراسلات معه واتخذ في الوقت نفسه التدابير الضرورية لعزل الحجاز عن باقي الامصار لقطع الامدادات عنه وصد الناس عن دعوته ثم ارتحل الى الكوفة وهي مهد الشيعة فأحكم قبضته عليها كما نجح في دفع الخراسانيين عن مسانئته .

وجاءت الخطوة الحاسمة للقضاء على حركته على يد الفرق العسكرية وسرعان ما وجد محمد نفسه يواجه الكثير من المتاعب بفعل عدة عوامل اهمها :

_ احجام معظم اهل المدينة عن مساعدته .

_ لقد اخطأ في تقدير خروجه فقد كان متفقا مع اخيه ابراهيم ان يخرج في البصرة في اليوم الذي يخرج هو فيه في المدينة لكن اخاه لم يخرج في اليوم المحدد لمرض الم به وان محمدا خرج قبل اليوم المحدد نتيجة الضغوط عليه مما افقده عنصر التنسيق الضروري للنجاح واعطى المنصور فرصة طيبة استغلها لضرب الاخوين كل على حدة .

_ لقد تردد في مواجهة خصمه .

واخيرا حدثت المعركة الفاصلة بين الطرفين في صبيحة اثنتي عشرة ليلة من شهر رمضان وانتهت بانتصار الجيش العباسي ومقتل محمد النفس الزكية عصر يوم الاثنين في الرابع عشر من الشهر المذكور . وامن عيسى بن موسى قائد الجيش العباسي الذي تولى المهمة اهل المدينة الا انه صادر ممتلكات بني الحسن بن علي .

وهكذا ختم اول فصل من فصول هذه المأساة ولم يبق امام المنصور الا القضاء على حركة ابراهيم في البصرة .

خروج ابراهيم بن عبد الله :

استقر ابراهيم بن عبد الله في البصرة بعد ان ترك الحجاز حيث وجد فيها الارضية الصالحة لنمو و انتشار الافكار الموالية للعلويين. فانضوت الزيدية و المعتزلة تحت لوانه و التف حوله الضعفاء والطبقات الفقيرة والمحرومة املا مما يعانونه من فاقة و ايده الامويون فيها وساندته العثمانية لما له من صلة النسب بن عثمان بن عفان وشد ازره فقهاء البصرة .

وتمكن بواسطة هؤلاء جميعا من ان يسيطر بسهولة على البصرة ودانت له الاهواز و فارس والمدائن اما الكوفة المتوثبة للتخلص من الحكم العباسي فقد احكم المنصور قبضته عليها مما حرمه من مساعدته ابنائها .

ونمت حركة ابراهيم وتوافدت الجموع على البصرة لتبايعه فقويت شوكته وشعر بان الفرصة اضحت سانحة للاصطدام بالخليفة . ولما جاءت الاخبار بقتل اخيه دعا الى نفسه بالخلافة وتسمى بأمر المؤمنين وبايعه اتباعه على ذلك .

الواقع ان هذه الحركة تعتبر من اشد الحركات التي واجهت المنصور بفعل ان سيطرة ابراهيم على مناطق واسعة و غنية اثرت تأثيرا سلبيا على قدرات الدولة وخشيها الخليفة فحاول الهرب من الكوفة ليلحق بابنه المهدي في الري كما حاول مراسلة ابراهيم بشأن عقد صلح بينهما .

واخيرا وقعت المواجهة المسلحة بين الطرفين في باخمرا وهي قرية قريبة من الكوفة في (شهر ذي القعدة عام 145 هـ / شهر كانون الثاني عام 763 م) وكادت الهزيمة تلحق بالجيش العباسي الذي قاده عيسى بن موسى وبدا النصر قاب قوسين او ادنى من العلويين لولا ان تغير وجه المعركة فجأة عندما اصيب ابراهيم بسهم في عنقه اودى بحياته فاضطرب نظام جيشه وشن الجيش العباسي هجوما مضادا كفل له النصر .

الايوضاع في المغرب

استولى عبد الرحمن بن حبيب وهو احد الزعماء العرب البارزين على السلطة في افريقية (المغرب الادنى) في ظل الفوضى التي ضربت العالم الاسلامي اثناء الصراع على السلطة بين الامويين والعباسيين و دخل القيروان متطلعا الى اقامة دولة مستقلة .

ويبدو ان عبد الرحمن هذا لم يكن رجل دولة وبدا من خلال تصرفاته السياسية انه يفتقر الى فن الحكم فذهب ضحية جشعه و انانيته فقد اغتيل في عام (137 هـ / 754 م) في ظل فوضى الصراع على السلطة .

في هذه الاثناء برز الخوارج على مسرح الحياة السياسية في افريقية وكانوا متربصين بالبلاد يحاولون انتزاعها ونجحوا في استقطاب بغض قبائل البربر الذين تأثروا بأرائهم وتأسيس دول لهم فيها .

وشهد المغرب انداك ظهور امارتين خارجيتين قامتتا على اكتاف البربر برئاسة زعماء من العرب واستقلتا استقلالاً يكاد يكون تاما .

اما الامارة الاولى فهي امارة سجلماسة . وهي دولة بني مدرار او بني واصول الصفرية وتدين بالمذهب الصفري . نشأت في عام (140 هـ / 757 م) في جنوبي المغرب الاقصى في المنطقة شبه الصحراوية التي تضم السهوب والواحات القائمة في الجنوب من جبال الاطلس وعلى اكتاف الصحراء من ناحية الشمال .

تعد هذه الامارة من ابرز امارات الخوارج المستقلة التي تأسست في عهد الخليفة المنصور وعمرت مائة واربعين عاما . اشتهرت بغناها وبموقعها التجاري الهام كما شكلت سوقا كبيرا تتم فيه مقايضة السلع الواصلة اليها من الجنوب والغرب لتنتقل الى حوض البحر الابيض المتوسط او من هذا الحوض الى قلب افريقية .

اما الامارة الثانية فهي الامارة الاباضية نسبة الى عبد الله بن اباض المري قامت في المغرب الاوسط عام (144 هـ / 761 م) . اسسها رجل فارسي على الغالب هو عبد الرحمن بن رستم وقد حمل لقب الامام . كانت عاصمة هذه الامارة مدينة تاهرت التي بناها المؤسس في عام (150 هـ / 763 م) وقد لخلفائه ان يحكموا اكثر من مائة وثلاثين عاما وكانوا اشد الخوارج تعصبا . وقام مجتمع هذه الامارة على اساس المساواة الكاملة بين الناس والحياة الخلقية المتطهرة لهذا وجد البربر ان مذهب الخوارج يناسب وضعهم الاجتماعي و السياسي فاتخذوه عنوانا للمعارضة العنصرية .

ويبدو ان الخلاف قد اخذ يدب بين الجماعتين الخارجيتين الصفرية والاباضية بفعل اختلاف الافكار الدينية .

واضحت افريقية تحت رحمة الخوارج تتبادل فيها السلطان عليها جماعة بعد جماعة مما دفع اهلها للاستغاثة بالخلافة العباسية .

لم يقف المنصور امام هذه الحركات المناهضة مكتوف اليدين فأرسل الحملات العسكرية الى المغرب لاعادة بسط سيطرة الدولة عليه .

وتمكنت احدى هذه الحملات بقيادة يزيد بن حاتم بن قبيصة من الانتصار على الخوارج الاباضية في عام (155 هـ / 772 م) . ونعمت القيروان بعد ان استعادتها الجيوش العباسية بفترة طويلة من الهدوء والاستقرار في ظل حكم اهل السنة .

وهكذا تمكن المنصور من استعادة ولاية افريقية الا ان نفوذه لم يتجاوزها الى داخل المغرب .

احياء دولة الخلافة الاموية في الاندلس

كانت الاندلس الولاية الاشد تأثرا بانتقال الخلافة من الامويين الى العباسيين . فقد عانت من الفوضى والصراعات الاقليمية والعنصرية خلال مرحلة غياب السلطة المركزية التي استمرت بين عامي (124_138 هـ / 742_756 م) ونشبت الحروب الداخلية بين القيسيين واليمنيين وهزمت المضرية ، اليمنية في شقندة الواقعة امام قرطبة في عام (130 هـ / 748 م) .

وسقطت اثناء ذلك دولة الخلافة الاموية على ايدي العباسيين في عام (132 هـ / 750 م) واخذ الولاة العباسيون يتتبعون الامويين ويقتلونهم . الا ان أميرا امويا استطاع النجاة من مطاردة هؤلاء هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان فيمم وجهه شطر المغرب .

اتصف عبد الرحمن بالطموح فعزم على تأسيس دولة له في المغرب الا انه اصطدم بمعارضة والي افريقية عبد الرحمن بن حبيب الفهري فاتجهت انظاره نحو الاندلس التي كانت اوضاعها مضطربة حيث وجد في هذا الاقليم

الفرصة الأكثر منالا من المغرب ونجح خادمه بدر الذي ارسله الى هناك لدراسة الموقف من تكوين نواة لقاعدة اموية اعتمدت على اليمينية .

والواقع ان اليمانيين الذين يرتبطون عضويا بالاسرة المروانية رحبوا بتأييد الامير الاموي للتحرر من قيود القيسيين الثقيلة والاخذ بثأر قتلاهم في وقعة شقندة .

وبات انصار الامير الاموي يمتلكون من المعطيات ما شجعهم على دعوته فعبر المضيق في (شعر ربيع الثاني عام 138 هـ / شهر ايلول عام 755 م) ونزل ضيفا على ابي عثمان في حصن طرشة .

كان حاكم الاندلس انذاك يوسف بن عبد الرحمن الفهري لكن السلطة الفعلية كانت في يد الزعيم القيسي الصميل بن حاتم . وقد ادرك الزعيمان مدى الخطر الذي يشكله عبور الامير الاموي على اوضاعهما خاصة وانه حاز على ثقة فئة كبيرة من المجتمع الاندلسي لذلك قررا التصدي له لارغامه اما على العودة او الخضوع لهما .

اما عبد الرحمن فقد استعد من جهته للوقوف في وجهيهما . فغادر حصن طرشة الى ارشذونة التي اعلنت تأييدها له ثم دخل اشبيلية وباعه اهله وانضمت اليه الفرق العسكرية التي كانت قد جاءت من دمشق وحمص و الاردن وغادر بعد ذلك اشبيلية باتجاه قرطبة والتقى بقوات الصميل والفهري عند المسارة في (شهر ذي الحجة عام 138 هـ / شهر ايار عام 756 م) وانتصر عليها ودخل قرطبة حيث صلى بالناس صلاة الجمعة في مسجد الكبير وخطب فيها معلنا قيام دولته الجديدة واضطر كل من الصميل والفهري للفرار .

وهكذا استطاع هذا الامير الاموي الطريد ان يحيي من جديد دولة الخلافة الاموية التي سقطت في الشرق وان يجعل من الاندلس دولة مستقلة واول ولاية اقتطعت من دولة الخلافة العباسية .

واجهت عبد الرحمن الداخل في بداية حكمه مشكلتان . تمثلت الاولى بقيام حركات ارتدادية من جانب الصميل والفهري ، وقد اخمدها وانتهت بمقتل الزعيمين المذكورين .

وتمثلت المشكلة الثانية بمحاولات الخلافة العباسية القضاء على الدولة الناشئة واستعادة سيادتها على الاندلس بعد ان ساءها ان يقتطع الامويون جزءا من دولة الخلافة الاسلامية .

والواقع ان ابا جعفر المنصور استغل الاوضاع القلقة التي كان عبد الرحمن الداخل لا يزال يعاني منها واتصل سرا بأحد الزعماء العرب ويدعى العلاء بن المغيث الجذامي فحثه على التخلص من خصمه ووعدته بإمارة البلاد وبعث له بلواء الدولة العباسية ويسجل تعيينه على الاندلس .

وأخذ العلاء يدعو الناس سرا الى طاعة الخليفة المنصور واستغل في عام (146 هـ / 763 م) التقلبات السياسية لحركات الفئات العنصرية مركزا على اليمينية الذين بدأوا يتململون من حكم الداخل بعد ان استأثر بالسلطة دونهم وخذلهم في تحقيق ما كانوا يطمحون اليه من السيادة لقاء ما قدموه من مساعدة في صراعه ضد المضرية . ولم يقبل عبد الرحمن من جانبه ان يكون اداة طيعة في ايدي هؤلاء فانحاز الى جانب القيسية مما اثار غضبهم ودفعهم الى الانضمام الى حركة العلاء كما انضم الى هذه الحركة الفهريون من القيسيين بفعل العداء المستحکم عليها .

وبعد نحو عام من الاتصالات والتحضيرات اعلن العلاء ثورته على النظام الاموي في عام (147 هـ / 764 م) ورفع اعلام العباسيين السوداء لكن الامير الاموي تمكن من القضاء على ثورته وقتله مع عدد من رجاله وبعث برؤوسهم الى المنصور الذي ادرك انه امام امير قوي ربما يفوقه دهاء وعنادا . وكان فشل هذه المحاولة كافيًا لاقتناعه بالعدول عن مشروع استعادة الاندلس ولم يمنعه عداؤه لعبد الرحمن من الاعجاب به ولقبه بـ (صقر قریش) .

